

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[412] وعلى هامش هذه النقطة ينبغي أن لا يفوتنا أن تعبير "أقوم" في الآية الآنفه يشير إلى أن رسول الإسلام هو آخر أديان السماء، وأن رسول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو آخر الأنبياء. وكيفية ذلك، هو أن رسولاً أقوم بوصفها أفعال تفضيل، تمثل أعلى درجات التفضيل، ولأن رسولاً الآية لا تذكر الطرف الآخر في المقايضة والذي يكون القرآن أقوم بالنسبة إليه؛ وطالما أن رسولاً حذف المتعلق يدل على العموم كما يقول الأصوليون، فينتج أن رسولاً الإسلام آخر الأديان، وأن رسولاً محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الرسل، لأن رسولاً ليس بعد صيغة تفضيل "أقوم" من درجة في التفضيل. بعد ذلك تشير الآيات إلى موقف الناس في مقابل الكتاب الأقوم، هذا الموقف الذي ينقسم فيه الناس إلى فئتين، فالأولى يكون حالها كما يقول تعالى: (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً). أمّا الفئة الثانية فيكون مصيرها تبعاً لموقفها كما يقول تعالى: (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً أليماً). وإذا كان استخدم "بشارة" واضح هُنا بالنسبة للمؤمنين، فهو بالنسبة لغيرهم من غير المؤمنين يقع على معنى السخرية والإستهزاء، أو أن رسولاً بشارة للمؤمنين أيضاً تخبرهم عن حال غير المؤمنين(1). ضمناً الآية تشير باختصار بليغ إلى جزاء المؤمنين وثوابهم فتقول: (أن لهم أجراً كبيراً) أمّا غير المؤمنين فإن لهم بنفس صورة الإيجاز القرآني البليغ (عذاباً أليماً) وهذا الإختصار البليغ يطوي في كلا مجالَيْه صوراً تفصيلية من الثواب والعقاب. أمّا لماذا اقتضت الآية في غير المؤمنين على صفة عدم إيمانهم بالآخرة _____ 1 - في نهاية الآية (138) من سورة النساء قلنا: إن رسولاً "بشارة" مشتقة أصلاً من "البشرة" بمعنى الوجه، والملاحظ أن رسولاً صحيفة الوجه وبشرته كالمرآة تعكس كل خبر إذا كان ساراً أو سيئاً بشكل إيجابيات معينة.